DrVaniya.com

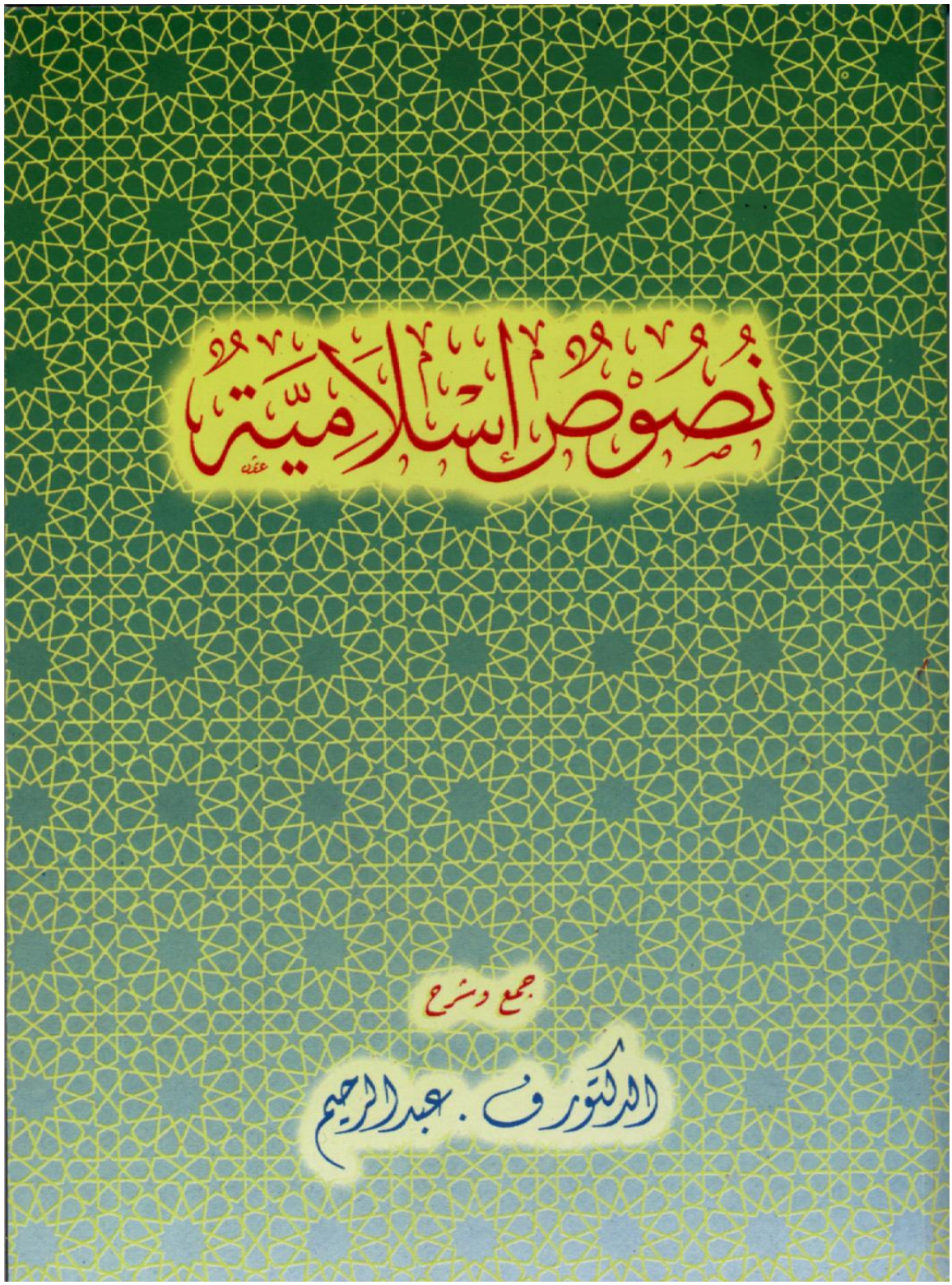

Published by
Islamic Foundation Trust, India
New Edition: 2013 CE

Copyrighted material. Non-profit use of this extract is allowed. Commercial use not allowed.
With kind permission of our Shaykh Dr. V. Abdur Rahim (حفظه الله)

DrVaniya.com

(١١) فَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ

لَمَّا فَتَحَ السُّلْطانُ صَلاحُ الدِّينِ الأَيُّوبِيُّ بَيْتَ الْمَقْدِسِ في رَجَبٍ سَنَةَ ثَلاثٍ وثَمانينَ وخَمْسمِائَةٍ لِلْهِجْرةِ، دَخَلَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ وَقْتِ الصَّلاةِ بِقَلِيلٍ، وذَلِكَ في السَّابِعِ والعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، ولَمْ يَتَّفِقْ لِلْمُسْلِمِينَ صَلاةُ الْجُمُعَةِ يَوْمَئِذٍ لِضِيقِ الوَقْتِ، إِنَّمَا أُقِيمَتِ الصَّلاةُ في الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلةِ، ولَكِنَّهُمْ نَظَّفُوا الْمَسْجِدَ الأَقْصَى مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الصُّلْبانِ وَالرُّهْبانِ وَالْخَنَازِيرِ، وغُسِلَتِ الصَّخْرةُ بِالْماءِ الطَّاهِرِ، وأُعِيدَ غَسْلُهَا بِماءِ الوَرْدِ والْمِسْكِ الفَاخِرِ، وأُبْرِزَتْ للنَّاظِرِينَ، وقد كَانَتْ مَسْتُورَةً مَخْبُوءَةً عَنِ الزَّائِرِينَ، ووُضِعَ الصَّلِيبُ عَنْ قُبَّتِها، وعَادَتْ إلى حُرْمَتِها.

ثُمَّ قُبِضَ مِنَ الفِرَنْجِ مَا كانُوا بَذَلُوهُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الأَمْوالِ، وأَطْلَقَ السُّلْطانُ خَلْقاً، مِنْهُمْ بَنَاتُ الْمُلُوكِ بِمَنْ مَعَهُنَّ مِنَ النِّساءِ والصِّبْيانِ والرِّجالِ، ووَقَعَتِ الْمُسَامَحَةُ في كَثِيرٍ مِنْهُمْ،

DrVaniya.com

وشُفِعَ فِي أُناسٍ كَثِيرٍ، فَعَفَا عَنْهُمْ. فَرَّقَ السُّلطانُ جَمِيعَ ما قُبِضَ مِنْهُمْ مِنَ الذَّهَبِ في العَسْكَرْ، ولَمْ يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً مِمَّا يُقْتَنَى ويُدَّخَرُ، وكَانَ رَحِمَهُ اللهُ حَلِيماً كَرِيْماً مِقْداماً شُجَاعاً رَحِيماً.

ولَمَّا تَطَهَّرَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الصُّلْبانِ والنَّوَاقِيسِ، والرُّهْبانِ والقَسَاقِسَةِ، ودَخَلَهُ أَهْلُ الإِيْمانِ، ونُودِيَ بِالأَذانِ، وقُرِئَ القُرْآنُ، ووُحِّدَ الرَّحْمنُ.

كانَ أَوَّلَ جُمُعةٍ أُقِيمَتْ في اليَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ شَعْبانَ، بَعْدَ يَوْمِ الفَتْحِ بِثَمَانٍ؛ فَنُصِبَ الْمِنْبَرُ إلى جانبِ الْمِحْرابِ، وبُسِطَتِ البُسُطُ وعُلِّقَتِ القَنادِيلُ، وتُلِيَ التَّنْزِيلُ، وجاءَ الْحَقُّ وبَطَلَتِ الأَبَاطِيلُ، وصُفَّتِ السَّجَّاداتُ وكَثُرَتِ السَّجَداتُ، وتَنَوَّعَتِ العِباداتُ، وٱرْتَفَعَتِ الدَّعَواتُ، ونَزَلَتِ البَرَكاتُ، وٱنْجَلَتِ الكُرُباتُ، وأُقِيمَتِ الصَّلَواتُ؛ وأَذَّنَ الْمُؤَذِّنُونَ، وخَرِسَ الْقِسِّيسُونَ، وزَالَ البُوسُ وطَابَتِ النُّفُوسُ؛ وأَقْبَلَتِ السُّعُودُ، وأَدْبَرَتِ النُّحُوسُ؛ وعُبِدَ اللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الذي لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ له كُفُواً أَحَدٌ؛ وكَبَّرَهُ الرَّاكِعُ والسَّاجِدُ، والقَائِمُ والقَاعِدُ؛ وٱمْتَلأَ الْجامِعُ وسَالَتْ لِرِقَّةِ

DrVaniya.com

القُلُوبِ الْمَدامِعُ؛ ولَمَّا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُونَ لِلصَّلاةِ قَبْلَ الزَّوَالِ كَادَتِ القُلُوبُ تَطِيرُ مِنْ الفَرَحِ فِي ذَلِكَ الْحالِ.

ولَمْ يَكُنْ عُـيِّـنَ خَطِيبٌ، فَبَرَزَ مِنَ السُّلْطانِ الْمَرْسُومُ الصَّلاحِيُّ وهُوَ فِي قُـبَّـةِ الصَّخْرةِ أنْ يَكُونَ القاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنُ الزَّاكِي اليَوْمَ خَطِيباً، فَلَبِسَ الْخَلْعَةَ السَّوْداءَ، وخَطَبَ لِلنَّاسِ خُطْبَةً سَـنِـيَّـةً بَلِيغةً ذَكَرَ فِيها شَرَفَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وما وَرَدَ فِيهِ مِنَ الفَضائِلِ والتَّرْغِـيـباتِ، ومَا فِيهِ مِنَ الدَّلائِلِ والأَمَارَاتِ. وكَانَ أَوَّلُ مَا قَالَ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام ٤٥]، ثُمَّ أَوْرَدَ تَحْمِيداتِ القُرْآنِ كُلَّها، ثُمَّ قالَ:

«الحَمْدُ لله مُعِزِّ الإِسْلامِ بِنَصْرِهِ، ومُذِلِّ الشِّرْكِ بِقَهْرِهِ، ومُصَرِّفِ الأُمُورِ بِأَمْرِهِ، ومُزَيِّدِ النِّـعَمِ بِشُكْرِهِ، ومُسْتَدْرِجِ الكُفّارِ بِمَكْرِهِ، الَّذِي قَدَّرَ الأَيَّامَ دُوَلاً بِعَدْلِهِ، وجَعَلَ العاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ بِفَضْلِهِ، وأَفَاءَ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ ظِلِّهِ، وأَظْهَرَ دِينَهُ على

DrVaniya.com

الدِّينِ كُلِّهِ، القَاهِرِ فَوْقَ عِبادِهِ فَلا يُمانَعُ، والظَّاهِرِ على خَلِيقَتِهِ فَلا يُنازَعُ، والآمِرِ بِمَا يَشَاءُ فَلا يُراجعُ، والحاكِمِ بِمَا يُرِيدُ فَلا يُدافعُ؛ أَحْمَدُهُ على إِظْفارِهِ، وإِظْهارِهِ، وإِعْزازِهِ لأَوْلِيَائِهِ ونَصْرِهِ لِأَنْصارِهِ، وتَطْهِيرِ بَيْتِهِ المُقَدَّسِ مِنْ أَدْناسِ الشِّرْكِ وأَوْضَارِهِ، حَمْدَ مَنْ اسْتَشْعَرَ الحَمْدَ باطنُ سِرِّهِ وظَاهِرُ جَهَارِهِ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ، ولَمْ يَكُنْ لهُ كُفُواً أَحَدٌ، شَهَادةَ مَنْ طَهَّرَ بِالتَّوْحِيدِ قَلْبَهُ، وأَرْضَى بِهِ رَبَّهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ رافِعُ الشَّكِّ، وداحِضُ الشِّرْكِ، ورَاحِضُ الإِفْكِ، الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إلى هذا المَسْجِدِ الأَقْصَى، وعُرِجَ بِهِ مِنْهُ إلى السَّمَواتِ العُلا، إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوَى مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى، صَلَّى عَلَيْهِ وعَلَى خَلِيفَتِهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ

Full extract in book is taken from:

وَفَيَاتُ الأَعْيَانِ لابنِ خَلِّكَانَ ٤: ٢٣٠-٢٣٦؛ الْبِدَايَةُ والنِّهَايَةُ ١٢: ٣٢٤-٣٢٦